

الخِبار

رئيس التحرير -
مدير التحرير -

مدير التحرير -
مدير التحرير -

مدير التحرير -
مدير التحرير -

مدير التحرير -
مدير التحرير -

مدير التحرير -
مدير التحرير -

مدير التحرير -
مدير التحرير -

مدير التحرير -
مدير التحرير -

مدير التحرير -
مدير التحرير -

مدير التحرير -
مدير التحرير -

مدير التحرير -
مدير التحرير -

مدير التحرير -
مدير التحرير -

مدير التحرير -
مدير التحرير -

مدير التحرير -
مدير التحرير -

مدير التحرير -
مدير التحرير -

مدير التحرير -
مدير التحرير -

مدير التحرير -
مدير التحرير -

مدير التحرير -
مدير التحرير -

مدير التحرير -
مدير التحرير -

مدير التحرير -
مدير التحرير -

أسعد ابو خليل *

إذا كان هناك من لغز في هذه الانتفاضة الجارية في لبنان، فإنه يكمن في غياب اسم وهدف رفيع الحريري عن الاحتجاجات، تحت عناوين فضفاضة بعض الشيء، إذ تحمل وعود الثورة الجامحة. وهذا اللغز قد يعكس بعض الدوافع والاتجاهات، التي تسود في أوساط كثيرة بين المحتجين والمحتجّات لا شك في أن انتفاضة الاحتجاج المعيشيّة، إنّما كانت عفوية وغير منيّحة وغير مرتبطة بمؤامرات خارجية. هي تتدخّل عفويا بناءً على العمامة الاقتصاية، وتراكم صلف الطليعة الحاكمة خصوصاً بعد زرع رموز الطبقة البرجوازية في صفوف وزارات الحكم. والسؤال عن الحريري يوجهه دور الرجل الهائل في بناء هذا النظام السياسي والاقتصادي الذي ينسكو منه الجميع (طبعاً. يمكن الناس ان يقتنعوا بان جبران باسيل هو الذي بنى دعائم هذا النظام لبنة لبنة بعد الطائف، وأنه كان هو الذي يامر ويُسبّر رفيع الحريري). والطائف كان علامة فارقة في بداية دور مهمّ لـرفيع الحريري، ويعانض غير خفي عن النظام السعودي ويتشارك مع النظام السوري. بعدما ابتاع عناصر فيه.

وغياب الحريري عن أهداف الاحتجاجات كل يوم، في مقابل هذا الهوس بجبران باسيل (ويأتمّه)، هو بمثابة شبه إعلان رسمي للدور الكبير لبقايا 14 آذار في الحراك (وللمنتسقين عن 14 آذار، لأنه بنظرمه لم يكن صراماً أكثر ضدّ سلاح مقاومة إسرائيل، والمنشقون هؤلاء يتخلّسون لباس اليسارية الزائفة، ويلعبون دوراً هاملاً في الإعلام اللبناني أو العربي المدموع أوروبياً). كان التركيز على باسيل - ولا يزال - الطريق الأسهل لن بريد تجربة الحريري وتبنيص الصفحة مع كل من يريد استهداف طهء حزب الله بالتحديد. إنّ مشهد خروج فؤاد السنيورة من الجامعة الأميركية، كان ساراً لكتّيرين وكثيرات، إلاّ إذا تذكّرت أن الرجل يتخلّل أكبر مسؤولية مفضلة إلى عن الكارثة الاقتصادية في لبنان. لرجو كان جبران باسيل في الحضور في الجامعة الأميركية، لكن إخراجه من القاعة سيكون أكثر فعالية بكثير وأقلّ بنتهيأً. ومشهد احتضان الحجتّين اليساريّين في المنبطة وصور للزّارتين، كريم مروة واحمد قعبور، هو تجربة مفضونة أيضاً (أو تناس ليُغفّر لشيوعيين رفيع الحريري، أي أن هؤلاء لم يباعوا في عدد حلقات الديكة مع اثنين من الذين روجّوا للراسمالية العربية، والدعاء للمقاومة في واحدة من أحلك المراحل التي مرت بها، عندما أصبحت العربية رأس حربة ضدّ المقاومة اللبنانية عن تحالف اميركي - سعودي - إسرائيلي. إن غض النظر عن دور رفيع الحريري كان من ضرورات الترويج لبدليل رجعي مناصر ضدّ مقاومة إسرائيل في لبنان. العربية أقرب إلى هؤلاء المحتجّين اليساريين والمحتجّات التي كلهم وإنما هؤلاء الذين احتضنوا زيارة قعبور ومزوّدة من مفاومي إسرائيل الذين أذلّوا العدو في حرب تموز (المهين في بروباغندا المحور السعودي أنه أخلق سريّة عن أن مقاومة كريم مروة واليسار والتقدمية. لم يكن لمحوري إسرائيل، كانت اعظم وأبلغ أثراً من مقاومة حزب الله من التسعينيات، أو أن الحزب الشنوعي مُنع من تحرير جنوب لبنان، ما أثار لحزب الله الفرصة لإتمام التحرير).

بالخِوازي مع تحييد رفيع الحريري، يعني أن الحراك يضمّ في ما يضمّ في صفوفه، بقايا 14 آذار وقوى طائفية تعتبر المشيّ به من الحزيمات الدينية والجهيية. إنّ كل أوجه الفساد التي ينسكو منها المحتجّون والمحتجّات، من تصميم وتنفيذ وتلحين رفيع الحريري - رفيع الحريري - رفيع الحريري - رفيع الحريري -، بالنفوذ والسلطة التي حكم بها رؤساء جمهورية ما قبل الحرب الأهلية. صحيح أنه لم يستطع أن يقضي على المقاومة، بالرغم من محاولات ومؤامرات عديدة ضدّها قام بها (وتحتل في آخر أيامه في القرار 1559 الذي لا يزال أتباعه يكذبون عن دوره فيه)، لكنّ صلاحياته كانت شاملة في الدولة. ينسبي الناس، اليوم، أن حسين الحسيني (الذي يستشهد به جماعا 14 آذار وتوايعها). كان ينسبر إلى الحريري التي تسيطرته وتورية بلبق «الشخص» نظراً إلى سيرته الكفّية في الدولة. رفيع الحريري أراد وأصرّ على التمتعّ بصلاحيات استثنائية في

ما سُمّي بإجباط المسيحيين جزءاً لا يتجزأ من خطة رفيع الحريري، لتهميش الدور السياسي للمسيحيين في النظام الطائفي، من أجل أن يُعزّزّ فوزه الانتخابي مقابل نفوذ الثنائي الشيعي (وإن كان الثنائي هذا متنافساً يوميةا). والذي ساعد رفيع الحريري على الاستقواء والسطو على المحاصصة السنية . المسيحية، هو أن رئيس الجمهورية الأولى، إلياس الهراوي، كان مطواعاً بيدي الحريري. وسهولة السيطرة على الهراوي عامل المال (أي الرشوة) كانت سابقة، ومن معالم الفساد المستشري الذي وسّم المرحلة الحريية، التي لا تزال تعاني من ويلاتها. طبعاً، الرشوة سبقت الحريري في النظام السياسي، وفعلت فعلها في المجلس النيابي (خصوصاً في الانتخابات الرئاسية) وفي مجلس الوزراء. وكان سياسيون يُبتاعون ويُستاجرون من قبل قراء محليين وأطراف خارجية، لكن لم تكن الرشوة على مستوى الإفساد الحريي: أي منح رئيس الحكومة راتباً خاصاً لرئيس الجمهورية للسيطرة عليه. الطريف أن هناك جائزة تُمنح باسم إلياس الهراوي لـ«الرجال الدولة» (بحسب من يمنحها)، كان الهراوي كان مثلاً محذّتي في تاريخ النظام الديموقراطية.

تميّزت جمهورية رفيع الحريري، باعتماده الفساد منهجاً وأسلوباً ونمطاً في الحكم، ولا ينحصر الفساد في النظام السياسي فقط، وإنّما يمتدّ إلى كل جوانب الحياة

في الدولة والمجتمع. أقام الحريري شبكة أسطورية أمسكت بخناق لبنان، وأدخلت لبنان لخدمته (واللجوء إلى الخارج لطلب الدعم ولعقابة الخصوم. كان أيضاً من سمات الحكم الحريي).

سركيس نقوم في كتابه الجديد («من مزيارة إلى واشنطن») عن كيف أن الحريري كان يعطي راتباً يُقدّر بعشرين ألف دولار شهريا له ولسفير فرنجية والضابط عدنان شعبان (بضيف نعوم: «لولا هذا المال لما استطعت الصمود مع آل نوبني» (ص. 166)، ولي عودة مفضلة إلى كتاب سركيس نعوم). أي أن السياسي والصحافي والأمني كان مرتبطاً ماليّاً بالحريري. ووسائل الإعلام التي تدعى مناصرة «ثورة» لا تننظر البتّة إلى الفساد

”

إن ثقافة لبنان منذ التسعينيات هي ثقافة رجعية يمينية راسمالية هيمنة

”

الإعلامي المستشري. أدخل الحريري شبكة من الكتّاب والمثقفين والفنّانين والشيوعيين في سجلّ دقواته، وضخّ مفاهيم راسمالية معادية لليسار والتقدمية. لم يكن لمحوري أن يمزجّ كل سياساته، من دون تغطية مباشرة من الثقافة والصحافة والفن ومرافق السياحة لاعماله.

إنّ الاعتراض على نظام الفساد اللبناني، بالخِوازي مع تحييد رفيع الحريري، يعني أن الحراك يضمّ في ما يضمّ في صفوفه، بقايا 14 آذار وقوى طائفية تعتبر المشيّ به من الحزيمات الدينية والجهيية. إنّ كل أوجه الفساد التي ينسكو منها المحتجّون والمحتجّات، من تصميم وتنفيذ وتلحين رفيع الحريري - رفيع الحريري - رفيع الحريري - رفيع الحريري -، بالنفوذ والسلطة التي حكم بها رؤساء جمهورية ما قبل الحرب الأهلية. صحيح أنه لم يستطع أن يقضي على المقاومة، بالرغم من محاولات ومؤامرات عديدة ضدّها قام بها (وتحتل في آخر أيامه في القرار 1559 الذي لا يزال أتباعه يكذبون عن دوره فيه)، لكنّ صلاحياته كانت شاملة في الدولة. ينسبي الناس، اليوم، أن حسين الحسيني (الذي يستشهد به جماعا 14 آذار وتوايعها). كان ينسبر إلى الحريري التي تسيطرته وتورية بلبق «الشخص» نظراً إلى سيرته الكفّية في الدولة. رفيع الحريري أراد وأصرّ على التمتعّ بصلاحيات استثنائية في

رفيق الحريري: الغائب الأكبر عن الانتفاضة اللبنانية

اعتراض الضام اللبناني على النظام لليسار الالغرض على اعترض على الحريية (برهان خطم)

وهو طلب من محافظ الأسد ذلك أكثر من مرة، لكن الأخير حرّمه منها بالرغم من تسخير قوى المخابرات والجيش السوري في لبنان لخدمته (واللجوء إلى الخارج لطلب الدعم ولعقابة الخصوم. كان أيضاً من سمات الحكم الحريي).

سركيس نقوم في كتابه الجديد («من مزيارة إلى واشنطن») عن كيف أن الحريري كان يعطي راتباً يُقدّر بعشرين ألف دولار شهريا له ولسفير فرنجية والضابط عدنان شعبان (بضيف نعوم: «لولا هذا المال لما استطعت الصمود مع آل نوبني» (ص. 166)، ولي عودة مفضلة إلى كتاب سركيس نعوم). أي أن السياسي والصحافي والأمني كان مرتبطاً ماليّاً بالحريري. ووسائل الإعلام التي تدعى مناصرة «ثورة» لا تننظر البتّة إلى الفساد

”

إن ثقافة لبنان منذ التسعينيات هي ثقافة رجعية يمينية راسمالية هيمنة

”

ثالثاً، تشكيل نخبة حاكمة (أو ما يُسمّى هنا بـ«حكومة المطبخ»، أي تلك الفئة من الحكام التي تتحكّم بالقرار السياسي في البلاد) عبر السيطرة المالية. كان الحريري يشنري مسؤولين كباراً في مختلف الأحزاب والقابلات والأديان ووسائل الإعلام، ما يعطيه نفوذاً وسلطة من خارج الطرق الديموقراطية. إنّ سلطة رفيع الحريري كانت أكبر من كلّ الرؤساء الذين تناولوا بعده، إذ تُهمّج خرّمو من الطرق غير الديموقراطية التي تتمّع بها. طبعاً، أضاف الحريري إليها مع المواطن الدولة لا تقدّم إلاّ التعامل الميسير من الخدمات الاجتماعية مقابل عدم تحميل المواطنين أعباء ضريبية تُذكر. كانت الضرائب على ذوي الدخل المحدود، محدودة بما أتى بعدها في المرحلة الحريية. لكنّ ذلك كان (قبل الحرب) في زمن كانت خدمات الدولة ومرافقها أكثر إنتاجاً وفعالية مما آلت عليه في الدولة الحريية. النقل العام قبل الحرب كان أفضل مما أصبح، وكان يمكن للمواطن في العاصمة والصحب، وكان النقل من دون الحاجة إلى سيارة، وبأسعار جدّ زهيدة (وكانت هناك محاربات في النقل العام، من باصات الدولة. أو «جشش الدولة» إلى «ترامواي» إلى سة الحديد لغايات التجارة)، وكانت هناك طاقة كهربائية في

”

مختلف فروع العمل) لأقرب حلفاء النظام السوري (الحزب القومي وحزب «البعث» وحرّة «أمل» التي باتت تقوّر أمر قيادة الحركة). أمّا اليسار، فقد نجح الحريري منذ إنطلاقته على الساحة اللبنانية في أوائل الثمانينات، في جذب قيادات يسارية (بداية في منظمة العمل الشيعوي من خلال عدنان زيباوي)، ثم تبعه صفّ عريض ليس فقط من منظمة العمل الشيعوي (التي باتت أكبر معمل لوعاظ اليمن والرجعية في الحياة السياسية اللبنانية والعربية)، بل من الحزب الشيعوي ومن قادة الحركة الوطنية التي بات معظم قياداتها مجرد أنفار في حاشية الحريري، أو حاشية هذا الأمير أو ذلك، ومشهد محسن إبراهيم إلى جانب بهية الحريري، أو سولاج الحمّل، بل بعد مشهداً غريباً، إذ تخفّرت نظرة الناس إلى اليسار في الزمن الحريي.

الحريري لم يجذب إلى صفّه منظرين وكتّابا من اليسار الشيعوي، إلاّ ليضخّوا تنظيرات تلامح الحوشية الرأسمالية التي فرضها على لبنان. بل هو غيّر في طبيعة الثقافة اللبنانية. هؤلاء هم الذين يقولون إن لا يسار ولا يمين في لبنان، وإن عصر الطبقات انتهى إلى غير رجعة، أو إن لا فارق بين الثري والفقير في هذه الثورة، كما قال أحد الناشطين في الحراك قبل أسبوع.

سابعاً، إن ثقافة لبنان منذ التسعينيات، هي ثقافة رجعية يمينية ورسمالية هيمنية. ليس هناك من ثقافة في ثقافة كما الحال في لبنان. هناك إجماع حديدي في أوساط المثقفين في لبنان، ولا تجد عريضة واحدة (اغلبها لغايات ضدّ مقاومة إسرائيل)، من دون توقع كلّ المثقفين في لبنان. هل هناك متفك معروف أو فنّان معروف جاهره يدعّم مقاومة إسرائيل؟ والطريف أن إجماع المثقفين الدولة، عبر إنشاء مدرسة خاصة وإذاعة وتلفزيون خاص به. لم يكن الحزب الحريي يردع يحافظ على أي ملكية للدولة، حارب مشروع إقامة مترو في بيروت، وحارب مشاريع تعزيز التعليم الرسمي، ومنع وزارة الطاقة للحلف، مجرم الحرب، إيلي حبيقة، لا ليصلح قطاع الطاقة بل ليجعل منه منجماً لأصحاب السلطة. حتى في تعزيز قوى الجيش: لم يكن يريد المقاومة ولا الجيش اللبناني، لأنّ إماله كانت معقودة على تحقّق سلام مع إسرائيل (ينسبي البعض أن أول اطلالة سياسية لنشر عربية ضد الفكر اليساري، نحن الحريري، كانت في عهد أمين الجميل في مرحلة اتفاقية 17 آيار، وفي تلك المرحلة نال الحريري وساماً على خدماته لعهد الجميل).

خامساً، الحريري هو الذي أتى برباض سلامة (بعدما كان سلامة في السنّتين الحريي وساماً على خدماته لعهد الجميل).

سابعاً، إن ثقافة لبنان منذ التسعينيات، هي ثقافة رجعية يمينية ورسمالية هيمنية. ليس هناك من ثقافة في ثقافة كما الحال في لبنان. هناك إجماع حديدي في أوساط المثقفين في لبنان، ولا تجد عريضة واحدة (اغلبها لغايات ضدّ مقاومة إسرائيل)، من دون توقع كلّ المثقفين في لبنان. هل هناك متفك معروف أو فنّان معروف جاهره يدعّم مقاومة إسرائيل؟ والطريف أن إجماع المثقفين الدولة، عبر إنشاء مدرسة خاصة وإذاعة وتلفزيون خاص به. لم يكن الحزب الحريي يردع يحافظ على أي ملكية للدولة، حارب مشروع إقامة مترو في بيروت، وحارب مشاريع تعزيز التعليم الرسمي، ومنع وزارة الطاقة للحلف، مجرم الحرب، إيلي حبيقة، لا ليصلح قطاع الطاقة بل ليجعل منه منجماً لأصحاب السلطة. حتى في تعزيز قوى الجيش: لم يكن يريد المقاومة ولا الجيش اللبناني، لأنّ إماله كانت معقودة على تحقّق سلام مع إسرائيل (ينسبي البعض أن أول اطلالة سياسية لنشر عربية ضد الفكر اليساري، نحن الحريري، كانت في عهد أمين الجميل في مرحلة اتفاقية 17 آيار، وفي تلك المرحلة نال الحريري وساماً على خدماته لعهد الجميل).

خامساً، الحريري هو الذي أتى برباض سلامة (بعدما كان سلامة في السنّتين الحريي وساماً على خدماته لعهد الجميل).

وتشبتت الحركة العمالية، وإيكال قياداتها (وزارة العمل) لأقرب حلفاء النظام السوري (الحزب القومي وحزب «البعث» وحرّة «أمل» التي باتت تقوّر أمر قيادة الحركة). أمّا اليسار، فقد نجح الحريري منذ إنطلاقته على الساحة اللبنانية في أوائل الثمانينات، في جذب قيادات يسارية (بداية في منظمة العمل الشيعوي من خلال عدنان زيباوي)، ثم تبعه صفّ عريض ليس فقط من منظمة العمل الشيعوي (التي باتت أكبر معمل لوعاظ اليمن والرجعية في الحياة السياسية اللبنانية والعربية)، بل من الحزب الشيعوي ومن قادة الحركة الوطنية التي بات معظم قياداتها مجرد أنفار في حاشية الحريري، أو حاشية هذا الأمير أو ذلك، ومشهد محسن إبراهيم إلى جانب بهية الحريري، أو سولاج الحمّل، بل بعد مشهداً غريباً، إذ تخفّرت نظرة الناس إلى اليسار في الزمن الحريي.

الحريري لم يجذب إلى صفّه منظرين وكتّابا من اليسار الشيعوي، إلاّ ليضخّوا تنظيرات تلامح الحوشية الرأسمالية التي فرضها على لبنان. بل هو غيّر في طبيعة الثقافة اللبنانية. هؤلاء هم الذين يقولون إن لا يسار ولا يمين في لبنان، وإن عصر الطبقات انتهى إلى غير رجعة، أو إن لا فارق بين الثري والفقير في هذه الثورة، كما قال أحد الناشطين في الحراك قبل أسبوع.

سابعاً، إن ثقافة لبنان منذ التسعينيات، هي ثقافة رجعية يمينية ورسمالية هيمنية. ليس هناك من ثقافة في ثقافة كما الحال في لبنان. هناك إجماع حديدي في أوساط المثقفين في لبنان، ولا تجد عريضة واحدة (اغلبها لغايات ضدّ مقاومة إسرائيل)، من دون توقع كلّ المثقفين في لبنان. هل هناك متفك معروف أو فنّان معروف جاهره يدعّم مقاومة إسرائيل؟ والطريف أن إجماع المثقفين الدولة، عبر إنشاء مدرسة خاصة وإذاعة وتلفزيون خاص به. لم يكن الحزب الحريي يردع يحافظ على أي ملكية للدولة، حارب مشروع إقامة مترو في بيروت، وحارب مشاريع تعزيز التعليم الرسمي، ومنع وزارة الطاقة للحلف، مجرم الحرب، إيلي حبيقة، لا ليصلح قطاع الطاقة بل ليجعل منه منجماً لأصحاب السلطة. حتى في تعزيز قوى الجيش: لم يكن يريد المقاومة ولا الجيش اللبناني، لأنّ إماله كانت معقودة على تحقّق سلام مع إسرائيل (ينسبي البعض أن أول اطلالة سياسية لنشر عربية ضد الفكر اليساري، نحن الحريري، كانت في عهد أمين الجميل في مرحلة اتفاقية 17 آيار، وفي تلك المرحلة نال الحريري وساماً على خدماته لعهد الجميل).

خامساً، الحريري هو الذي أتى برباض سلامة (بعدما كان سلامة في السنّتين الحريي وساماً على خدماته لعهد الجميل).

سابعاً، إن ثقافة لبنان منذ التسعينيات، هي ثقافة رجعية يمينية ورسمالية هيمنية. ليس هناك من ثقافة في ثقافة كما الحال في لبنان. هناك إجماع حديدي في أوساط المثقفين في لبنان، ولا تجد عريضة واحدة (اغلبها لغايات ضدّ مقاومة إسرائيل)، من دون توقع كلّ المثقفين في لبنان. هل هناك متفك معروف أو فنّان معروف جاهره يدعّم مقاومة إسرائيل؟ والطريف أن إجماع المثقفين الدولة، عبر إنشاء مدرسة خاصة وإذاعة وتلفزيون خاص به. لم يكن الحزب الحريي يردع يحافظ على أي ملكية للدولة، حارب مشروع إقامة مترو في بيروت، وحارب مشاريع تعزيز التعليم الرسمي، ومنع وزارة الطاقة للحلف، مجرم الحرب، إيلي حبيقة، لا ليصلح قطاع الطاقة بل ليجعل منه منجماً لأصحاب السلطة. حتى في تعزيز قوى الجيش: لم يكن يريد المقاومة ولا الجيش اللبناني، لأنّ إماله كانت معقودة على تحقّق سلام مع إسرائيل (ينسبي البعض أن أول اطلالة سياسية لنشر عربية ضد الفكر اليساري، نحن الحريري، كانت في عهد أمين الجميل في مرحلة اتفاقية 17 آيار، وفي تلك المرحلة نال الحريري وساماً على خدماته لعهد الجميل).

خامساً، الحريري هو الذي أتى برباض سلامة (بعدما كان سلامة في السنّتين الحريي وساماً على خدماته لعهد الجميل).

سابعاً، إن ثقافة لبنان منذ التسعينيات، هي ثقافة رجعية يمينية ورسمالية هيمنية. ليس هناك من ثقافة في ثقافة كما الحال في لبنان. هناك إجماع حديدي في أوساط المثقفين في لبنان، ولا تجد عريضة واحدة (اغلبها لغايات ضدّ مقاومة إسرائيل)، من دون توقع كلّ المثقفين في لبنان. هل هناك متفك معروف أو فنّان معروف جاهره يدعّم مقاومة إسرائيل؟ والطريف أن إجماع المثقفين الدولة، عبر إنشاء مدرسة خاصة وإذاعة وتلفزيون خاص به. لم يكن الحزب الحريي يردع يحافظ على أي ملكية للدولة، حارب مشروع إقامة مترو في بيروت، وحارب مشاريع تعزيز التعليم الرسمي، ومنع وزارة الطاقة للحلف، مجرم الحرب، إيلي حبيقة، لا ليصلح قطاع الطاقة بل ليجعل منه منجماً لأصحاب السلطة. حتى في تعزيز قوى الجيش: لم يكن يريد المقاومة ولا الجيش اللبناني، لأنّ إماله كانت معقودة على تحقّق سلام مع إسرائيل (ينسبي البعض أن أول اطلالة سياسية لنشر عربية ضد الفكر اليساري، نحن الحريري، كانت في عهد أمين الجميل في مرحلة اتفاقية 17 آيار، وفي تلك المرحلة نال الحريري وساماً على خدماته لعهد الجميل).

خامساً، الحريري هو الذي أتى برباض سلامة (بعدما كان سلامة في السنّتين الحريي وساماً على خدماته لعهد الجميل).

إفلاس منظومة المحاصصة

تعاقد وطني جديد

سعد الله مززعنبي *

الإفلاس الاقتصادي والمالي والتقدي الذي يعاني منه اللبنانيون، الآن، هو على صلة سببية بمنظومة المحاصصة الطائفية التي تُدار مؤسسات السلطة اللبنانية من خلالها. هذه السلطة أمعنت حتى شرعت، بفجور واستخفاف بالمواطنين، الفساد والهدر والنهب. عطّلت الدستور وخالفت القانون. استتبعبت القضاء وهُمّشت أجهزة الرقابة. شوّهت تسوية الطائف” وبيّرت وألغت إصلاحاته... طُيّفت كل الحياة السياسية والاجتماعية. قُمعت المعارضة الشعبية وصارت المؤسسات التمثيلية بالتزوير والإغراء وشراء الضمائر. هي، منذ ثلاثة عقود على الأقل، قادت سياسة مثابرة لضرب الإنتاج الصناعي والزراعي. كرّست اقتصاداً طفلياً تابعاً... ما جعل البلاد رهينة مديونية هائلة نتيجة سنيب منظم من قبل تحالف غير مقدّس ضدّ محتكري السلطة وحيثان المال والاصراف وحاكمة البنك المركزي.

الإفلاس الاقتصادي المخيف، الذي دخلت البلاد نفقة المظم، يقترن، في هذه المرحلة، بإفلاس سياسي حيث إن منظومة المحاصصة الطائفية، باتت عاجزة عن مواصلة ممارسة سلطتها. أساساً، بسبب التنافس الفئوي والصراع على مواقع النفوذ والقرار. كذلك، هي تعاني من تناقض أساسي بين تكتلاتها وأطرافها. بشأن العلاقات والتحالفات والصراعات الإقليمية وخلفيتها هي الصراعات الدولية، التي ما زالت منطقة الشرق الأوسط ساحة محورية من ساحاتها. لبسط النفوذ والهيمنة والتنافس.

في الشهيد الراهن. برز لاعب مؤثر هو حركة الاحتجاج الشعبي المستمر منذ السابغ عشر من تشرين الأول / أكتوبر الماضي. جملة من الارتكابات والأخطاء والإهمال والعجز والمخاطر دفعت، إلى الشارع، بمئات الآف اللبنانيين الذين استيقظ في أراهم، بسبب هول الأزمة. إنراك لبعض أبرز أساليب والمعلم المسؤولين عنها. اندفعت جماهير واسعة، في مظم المناطق، مطالبة بالتغيير، منددة بالطائفية والفساد والتهنّب وقلّة المسؤولية والاستخفاف بمصالح البلاد ولقمة عيش العباد، وبكرامات اللبنانيين على وجه الخصوص.

نشأت إثر ذلك، معادلة تتمثل في عدم قدرة كل من الحاكمين والمحكومين على الاستمرار في المواقع والعلاقات والتوازنات السابقة (معادلة بدء تغيير رصد ليتين بروزها في الأزمات الكبرى).

في الواقع، إن التطبيق المشوّه للدستور بتعطيل أو بتر إصلاحات تسوية الطائف” قد وُلِدَ وصُغِبَ شيئاً في مرحلة ما بعد انتهاء الإدارة السورية للبلاد. عام 2005، طبعاً. لم يكن ذلك بسبب انتهاء، تلك الإدارة، بل بسبب عدم متابعة واستكمال الآلية المقررة في الطائف”. من قبل الإدارة السورية والقوى السياسية اللبنانية: الموالية والمعارضة. وفق دستور الطائف”. أصبح مجلس الوزراء، مجتمعاً، وعلى سلطة القرار التنفيذي في البلاد. اشترط الدستور (المادة 95) على مجلس النواب الأول المنتخب على أساس المناصفة” بين المسلمين والمسيحيين، أن يشكل، خلال ولايته، هيئة وطنية لإلغاء الطائفية السياسية” ولا انتخاب مجلس نيابي منحزّ من القيد الطائفي”. السلطة في المجلس العتيد، وكان ينبغي أن تنشأ على أساس سياسي. وأن يتشكّل المجلس النيابي والسلطة المنبثقة عنه، على أساس سياسي لا طايفي أيضاً. أي أن تتشكل أكثرية تحكم وأقلية تعارض. الأكثرية المعنية هي التي ينبغي أن تمارس سلطة القرار في المجلس العتيد، أما ينبغي أن تشكل جزءاً محورياً من إصلاحات ما بعد الطائف”. وخصوصاً من آلية تنفيذها، ومن خلال كون هذا التعطيل متعمداً من قبل العتيين، سوريين ولبنانيين، نشأ فراغ في مركز القرار الذي تورّع على نحو طايفي (ميثاقتي” كما يقال) بين ممثلي الطوائف المتنازعين ما عطّل آلية الطائف”. وأحلّ القرار إلى الطرف السوري حتى عام 2005. هذا الأمر، كما أشرنا، تفاقم بعد خروج السوريين وبعد تحويل التّأثير إلى دائم، ثم بعد انطلاق تحالفات وشعارات تشدّد على أولوية استعادة الحقوق”، كما مارس «التأثير العربي” خصوصاً.

لقد تركزت المحاصصة وتوغّلت في كل مفاصل الإدارة، وخصوصاً في مجلس الوزراء الذي بات يتشكّل ويتحوّك انطلاقاً من التمثيل الطائفي (حكومات “وحدة وطنية“). لا في ضوء الخيارات السياسية وتوزّع الأطراف. بشأنها، بين أكثرية وأقلية. هذا الوضع الشاذ هو ما تفاقم إلى “ميثاقية” طائفية استشرت وتطرّقت إلى محاولات العودة عن الإصلاحات والغاء أساسها الدستوري، وليس فقط مجرد تعجيبها أو تعطيلها أو العمل بما يناقضة في الإدارة السياسية.

الخلل في السياسات وفي الآلية، تفاقم مع ضغوط إقليمية ودولية لإحداث تغيير في سياسة لبنان الخارجية ارتباطاً بصراعات المنطقة وانقساماتها. واشتدّن تقود هذه الضغوط المتنوّعة محاولة فرض “صفقة القرن” التصفوية على الشعب الفلسطيني والمنطقة.

الموقف الأميركي والصهيوني من “حزب الله” وسياسته وسلاحه وتحالفاته شكّل هو المستهدف الرئيسي، في لبنان، من قبل السياسات الأميركية والإسرائيلية. تغيير توازنات السلطة بات هدفاً مباشراً لهذا الغرض. انعقدت تناقضات الداخل على تناقضات الخارج. شكّل التحرك الاحتجاجي قبلة الانظار لإحداث التغييرات المتكورة. فرضت كل هذه المعطيات لوحة معقدة خصوصاً، بسبب ضعف دور قوى التغيير التقليدية (اليسارية والوطنية)، وبسبب تشتّت حركة الاعتراض وكثرة الناشطين في صفوفها من أجل دفعها بعيداً عن أهدافها العلنية والمشروعة تماماً في محاسبة المسؤولين عن الكارثة وعن تداعياتها المخيفة على الأكثرية الساحقة من الشعب اللبناني.

لقد نجحت الانتفاضة الشعبية في جذب مئات الآلاف، مشاركين ومتعاطفين، إلى نشاطاتها ودعمها، لكنها عجزت، بالمقابل، عن بلورة برنامج بأولويات، وقيادة بمشروعية وصلاحيات، تمكّنتها من تطعيم ضغط متصاعد ومن مواجهة محاولات الخارج للاستغلال والتوظيف، ومحاولات السلطة الداخلية، للإفلات من المحاسبة.

يطفو على السطح شعار “كلّن يعني كلّن”. الأمر أقرب، في الشكل وفي المضمون، إلى اقتصار في المحاسبة والحاكمة، على دور الناشطين، من دون التوغّل إلى البني والتوجهات والسياسات العامة. تجاوّز الواقع الطائفي في شعارات المنتفضين والربط بين الطائفية والفساد والقتل، لم يذهب، هو الآخر، إلى عمق المشكلة الجوهرية القائمة في منظومة المحاصصة نفسها. كذلك الأمر بالنسبة إلى الوقف من أسباب الأزمة الاقتصادية حيث يقتصر الانتقاد على الفاسدين من دون النفذ إلى عمق النموذج الريعي الطفيلي نفسه.

الصراع على السلطة والسياسات الداخلية والخارجية في ذروته، كان الأمر كذلك قبل تكليف الوزير السابق حسان دياب بتشكيل الحكومة، وسيتمتع بعد التصكيّف، بسط اعتراض سياسي، لطائفني، (شعبي (من قبل المنتفضين، وتحريض دائم من قبل ممثلي وحلفاء، واشتدّن. شكّات علاقاتها الطبقية وخياراتها، نتاجاً للاقتصاد الحريي. هي لا تريد محاسبة يمكن أن تقضي على امتيازات الجامعات الخاصة، وعلى كساليات الطبقة المرفهة وعلى سياسات تفيد المحتّلين اجتماعياً. عندما تنفقد الاحتجاجات أمام ضريح الحريري، تعلم أنّ استخلاصاً لعبر العقود الماضية قد حصل، وإن قراراً قد اتخذ بإحداث تغيير جذري في لبنان، وإن بدا بعيد النال.

* كاتب عربي (حسابه على تويتر@asadabukhalil)